الهند الإسلامية من الفتح وحتى نهاية عصر السلطنة في دراسات المستشرقين

(مع التركيز على جهود المستشرقة آنا ماري شيمل أنموذجاً)

د. ياسر المشهداني
قسم التاريخ / كلية التربية
جامعة الموصل

الاستلام	القبول
١٧ / ٠٨ / ٢٠٠٩	١٨ / ١٠ / ٢٠٠٩

ملخص بحث

هدف البحث إلى إبراز مسألة اهتمام المستشرقين في دراسة تاريخ الهند الإسلامية منذ ان تم فتحها على يد القائد العربي المسلم محمد بن القاسم الثقفي وحتى بداية العصر المغولي فيها، إذ تناول البحث مدخلا تعريفيا ببلاد الهند خلال الفتح وعصر السيادة الإسلامية والذي امتد لما يزيد على السبعة قرون بين (٩٥- ٩٣٢هـ / ٧٠٥- ١٥٢٥م) ثم عرض لدوافع وأسباب اهتمام المستشرقين بها، وانصب تركيز البحث حول الجوانب التي تعرض لها أولئك المستشرقون خلال دراستهم لتلك المدة المهمة من تاريخ الهند، فمن المعلوم إن الغرب اهتم بدراسة تاريخ الهند بوجه خاص لأهداف اقتصادية واستعمارية وأهداف أخرى ومثلما ظهر فيهم المنتقد لحضاراتها والمسيء فقد ظهر فيهم المحسن والمنصف، فوصلتنا منهم أراء مختلفة عن تلك الحضارات وحققوا لنا عدد كبير من المخطوطات وترجموا لنا عدداً آخر وانشأوا معاهد مختصة بدراسة تاريخ الشرق، ونقد الحضارة الهندية العريقة، وكل ما سبق شكل المبحث الأول. وفي المبحث الثاني قدم البحث عرضا لاهتمامات المستشرقة الألمانية (آنا ماري شيمل) وجهودها في الكتابة عن تاريخ الهند الإسلامية كأنموذج عن الاستشراق الألماني.

وهكذا فان هذا البحث يعد جزءاً من الانفتاح على الحركة الثقافية والفكرية في الهند والتي تجسدت من خلال كتابات المستشرقين الجمة بالنظر لما تمتلكه من ثراء كبير في

المحتوى والمنهج، سيما وان الدراسات السابقة حول الموضوع كانت جزئية وغير متخصصة من قبل باحثين عرب ومستشرقين وان كانت لا تغفل النتاج الثقافي في شبه القارة الهندية.

كما الحق البحث بجدول يضم أسماء أشهر الكتاب الغربيين عن الحضارة الإسلامية في الهند مع أسماء مؤلفاتهم الخاصة بالهند.

Abstract

This research is a part of the opining up the cultural movement & the figures in India which is parable in more works of the Orientalists, because of its hold big opulence in content and approach.

The aim of the research is to defining advertence the Orientalists in the study of the history of the Islamic India, since its conquest on the hand of Muhammad bin Al-Qasim Al-Thiqafi in (95A.H / 705A.D) until the end of Sultanate Age in (932A.H/1525A.D). I incipiency to offer the propellants advertence those Orientalists to India and then focalising around the sides which is event on it as a Political, Economic, Cultural and Society life in India.

In the last part of the research, I review to the efforts of Orientalist Anne Mary Schimmel to wrote on the Indian Islamic History and its manner of criticism the civilization of India.

الهند الإسلامية من الفتح وحتى نهاية عصر السلطنة الإسلامية

في دراسات المستشرقين (مع التركيز على جهود المستشرقة آنا ماري شيمل أنموذجا)

يعد هذا البحث جزءاً من الانفتاح على الحركة الثقافية والفكرية في الهند والتي تجسدت من خلال كتابات المستشرقين الجمة بالنظر لما تمتلكه من ثراء كبير في المحتوى والمنهج، سيما وان الدراسات السابقة حول الموضوع كانت جزئية تركز على جانب معين للكتاب الغربيين عند تناولهم الهند ولفترات عامة من تاريخها، وان كانت لا تغفل النتاج الثقافي في بلاد الهند[1].

حظيت الهند بنصيب وافر من الدراسات الاستشراقية، ليس فقط لأنها بلاد واسعة وغنية وتزخر بالتراث الحضاري العريق وتعدد الأديان واللغات، ولكن لكونها من البلاد القليلة التي دخلها الاسلام وانتشر فيها وسط تشابك الأديان ومن ثم أثبت حضوراً قوياً في مجاله الحضاري فشغلت بذلك الباحثين الغربيين المختصين بالدراسات الإسلامية. وبالطبع هناك الكثير من المستشرقين ممن كتبوا عن تاريخ الهند العريق في الفترات القديمة او الحديثة والمعاصرة، ولكن ما يهمنا وما له صلة بموضوعنا هم أولئك المتخصصون في التاريخ الإسلامي في الهند وطبعاً لا نستطيع حصر أعدادهم وجمعها بل اقتصر العمل على عرض

أعمال الذين اشتهرت مؤلفاتهم عن الهند. كما اننا لسنا في هذا البحث بمعرض محاسبة المستشرقين على كتاباتهم بالقدر الذي يهمنا تقييم تلك الأعمال وعرضها من اجل الوصول إلى نتيجة مفادها ان العصر الإسلامي في الهند كان جديراً بالاهتمام لما افرزه من أحداث ومؤثرات ايجابية على الواقع الهندي في الحضارة والسياسة والمجتمع.

المبحث الأول

بديات الحركة الاستشراقية في الهند

قبل الدخول الى بدايات الحركة الاستشراقية في الهند لابد من تقديم تعريف موجز عن كلمة الاستشراق، فهي في اللغة كلمة عربية يرجع جذرها إلى كلمة (شرق) شرقاً وأشْرقَ: أي المكان الذي أَشْرقَت عليهِ الشمس فأضاء. وأَشرقَتِ الأرض: أَنارتْ بإشراق الشمس[٢] وكلمة استشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ولغاتهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري والجهد العلمي الذي قام به الغربيون من دراسات وأبحاث وتحقيقات تناولت الشرق في حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما[٣].

حقيقة من الصعب تحديد بداية للاستشراق، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجرة / الثامن للميلاد. وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب (يوحنا الدمشقي) في كتابين الأول: حياة محمد، والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين في عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٦ م عندما صرح عدد من زعماء الغرب ان في الشرق انهار اللبن والعسل[٤] ثم تبلورت مصالح الغرب الاقتصادية في الشرق بعد ثورتهم الصناعية، ولذلك حاولوا مراراً السيطرة على عدد من مناطق العالم الإسلامي وشجعوا أقلامهم للكتابة عن المشرق الإسلامي لتقديم المعلومات المفصلة عنها. وأياً كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت كردود أفعال بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية، وفي الواقع ان من العسير على باحث ان يفصل العمل الاستشراقي عن الهدف الديني في جملة دراسة المستشرقين عن الإسلام، وان كان بعضهم يجهر بهذا الهدف بشكل واضح في كل مناسبة تقتضي ذلك، فان فئة أخرى منهم تجنح إلى أسلوب الدس الخفي وإخفاء الحقائق وإبراز الشبهات وبتر النصوص في كل ما يتعلق بالدراسات عن الإسلام[٥]. وقد بدأ الاستشراق تخصصاً رسمياً حين صدر قرار مجمع فيينا الكنسي عام٧١٢هـ / ١٣١٢م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.

ولم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر للميلاد، فقد ظهر أولا في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م.

بداية الحركة الاستشراقية في الهند. أسبابها، دوافعها

ترجع أولى المحاولات الغربية للتعرف على طبيعة بلاد الهند ومواردها الطبيعية الى بدايات القرن ٨هـ/ ١٤م عندما قام الرحالة الايطالي (ماركو بولو Marco Polo) (٦٥٢-٧٢٥هـ/١٢٥٤-١٣٢٤م) برحلة إلى الشرق زار خلالها عدة بلدان ومدن أسيوية كان من ضمنها جزء من مدن الهند وجنوب شرقي آسيا. وصحيح ان تلك الرحلة لم تكن تحمل صفة التكليف الرسمي او الدبلوماسية ولكن الصحيح أيضاً انها كانت قد نبهت الغرب الأوربي إلى أهمية بلاد الهند وخاصةً ما تنتجه أرضها من توابل وثروات طبيعية حيث انه أي ماركو بولو وضع كتابا بعد انتهاء رحلته دون فيه مشاهداته عن جغرافية الهند وأحوالها(٦).

هكذا نرى ان الدوافع الاقتصادية التي نبه إليها بولو وجدت لها صدى واسعاً لدى الأوربيين على ارض الواقع ففي ذلك الوقت كانت تجارة التوابل تعد أهم مطلب اقتصادي لدى شعوب القرون الوسطى، واستطاعت سلطة المماليك احتكار تلك التجارة فترة طويلة امتدت خلال سني حكمهم بين (٦٤٨- ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) وبقيت أسرار تجارة التوابل حكرا على التجار العرب المسلمون وممنوعة على من سواهم من التجار الأوربيين حتى ان عددا منهم اخذوا ينسجون الأساطير التي تداولت في الأدب الغربي الشعبي عن موارد تلك التجارة ومنها اعتقادهم ان أصول التوابل تنبع من الجنة حيث العالم الغيبي، ولم يكن باستطاعة الأوربيين الوصول مباشرةً إلى سواحل الهند بل فقط اقتناء السلع والبضائع الهندية من الموانئ العربية المنتعشة (سواحل البحر الأحمر والبحر المتوسط والخليج العربي)(٧).

وفي القرن ٩هـ/ ١٥م نجد رحالة ايطاليا آخر يطرق أبواب الهند ويدون عنها ما راق له من النصوص، انه (نيكولو دي كونتي Necolo De Conti)(٨) كما زار مواطنه الرحالة (لودفيكو دي فارثيما L.Varthima) مدينة كجرات على عهد أميرها محمود بيغرا خان (٨٥٤- ٩١٧هـ / ١٤٥٠-١٥١١م) ولم تخلو مدوناتهما من التنبيه على الأهمية الاقتصادية وكانت خطوة في طريق اكتشاف ذلك العالم المجهول للأوربيين.

أما إذا انتقلنا إلى القرن ١٠هـ/ ١٦م فسنجد تطوراً في الدوافع والأسباب للحركة الاستشراقية في الهند ففي سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م) تمكن البحار البرتغالي (بارثولوميو دياز **Bartholomeu Diaz**) من اكتشاف منطقة رأس الرجاء الصالح(٩) ومن ثم وصول مواطنه (فاسكو دي كاما **Vasco da Gama**) إلى ميناء قاليقوط **Calcut** في بلاد الهند سنة

(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) بالدوران حول أفريقيا وإكمال الاكتشاف السابق. تلك الحملات كان قد رافقها إرسال عدد من الجواسيس والمستشرقين من اجل استكشاف بلاد الهند ومنهم مثلا المستشرق (بيدرو دي كوفلهام **Pedro de Covilham**) الذي تنكر بزي مسلم ودخل الهند وأقام فيها فترة من اجل دراسة أوضاعها الداخلية تمهيد لاحتلالها[١٠]. ومن هنا فقد نجح البرتغاليون في السيطرة على سواحل الهند الشرقية بعد معركة ديو Diu الفاصلة. تلك التطورات فتحت المجال أمام العديد من المستشرقين للوصول إلى الهند وتدشين ذلك الطريق ومن ثم معاينة أوضاعها والكتابة عن مختلف جوانبها، وممن برز في تلك المرحلة: باروس **Barros** ويوركا **Yourka** وكاستانهيدا **Castanheda** وداميو دي كويز **Damio De Gois**[١١] وديفيد لوبيز **D. Lopiz** الذي ترجم مخطوطة زين الدين المعبري (تحفة المجاهدين في أخبار البرتغاليين) إلى اللغة البرتغالية. وهكذا كانت دوافع البرتغاليين في الوصول إلى الهند ممزوجةً بدوافع سياسية ودوافع دينية فضلاً عن الاقتصادية.

وفي القرن ١١هـ/ ١٧م شهدت السواحل الهندية صراعاً عنيفاً بين القوى الأوربية التي كان لها السبق في الميدان البحري لتمخر عباب المحيط الهندي كالأساطيل (الهولندية والفرنسية والبريطانية) حيث انه في عام (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) تمكن الإمبراطور الهولندي (انطونيو فان ديمين Van Demen) من طرد البرتغاليين وانتزاع تجارة الهند.

وفي القرن ١٢هـ/ ١٨م تمكن الأسطول البريطاني من حسم المنافسة على المحيط الهندي واحتلال الهند للفترة بين (١١٧٢- ١٣٦٧هـ/ ١٧٥٨-١٩٤٧م) ومن ثم تأسيس شركة الهند الشرقية[١٢] وفي عهدهم انتعشت الحركة الاستشراقية على أيدي الكثير من المستشرقين الذين استخدمتهم الحكومة البريطانية كجامعي معلومات او كجواسيس وضباط.

ومنذ ذلك الحين والجامعات البريطانية تخرج العديد من المختصين بتاريخ الهند عبر أقسامها الخاصة بالدراسات الشرقية وحتى الآن. وقد زاد اهتمام البريطانيين بالهند بإنشاء كراسي للدراسات الشرقية واللغات الهندية (السنسكريتية والتاميلية والبنغالية) في الجامعات البريطانية كلندن و اوكسفورد Oxford وكامبردج Cambridge و دورهام Durham، كما انشأوا في الهند نفسها جامعات لتدريس اللغات الشرقية والأدب الشرقي مثل كلية دلهي (١٧٩٢-١٨٧٧م) وكلية فورووليم Fort William بكلكتا (١٧٩٩-١٨٣٦م) لتعليم طلبة الكلية الحربية اللغات العربية والفارسية فضلاً عن الكلية الجامعة في حيدر آباد الدكن وانشأ وليم جونز الجمعية الأسيوية في البنغال سنة ١٧٨٤م[١٣].

وفي نهاية عصر الاحتلال البريطاني (القرن الرابع عشر للهجرة / القرن العشرين للميلاد) يدخل الاستشراق في الهند مرحلة جديدة إذ أتيحت الفرصة للألمان والأمريكيين والنمساويين والروس وغيرهم للكتابة عن تاريخ الهند وتحقيق كتبها. هكذا يظهر ان عاملا الغزو والتجارة شكلا ميدانا تعرف من خلاله الغرب على الحضارات الأسيوية[١٤].

لقد أتاح الاحتلال البريطاني للهند فرصة عظيمة للباحثين البريطانيين للاطلاع والكتابة عن مستعمراتهم في تلك البلاد فأطلقوا أقلامهم وألفوا أغزر كتبهم عن تاريخ وحضارة الهنود بعد ان كانت مجهولة لديهم وبعيدة عنهم. ومن جهة أخرى احتاج المستعمرون البريطانيون أنفسهم إلى معرفة طبيعة السكان وجغرافية المناطق المجهولة التي قدموا إليها فضلا عن حاجتهم إلى معرفة اللغات المحلية واللهجات المتعددة. ونتيجةً لما سبق فقد ظهر لدينا عدد كبير من المستشرقين الذين رافقوا الحملات العسكرية وكتبوا عن الهند خدمة للأغراض العسكرية وقد استقر عدد منهم في الهند وكتب بكل عدالة وإنصاف عن الطبائع والتقاليد الاجتماعية وغيرها.

مختصر التاريخ الإسلامي في بلاد الهند

قبل ان نعرض ما كتبه المستشرقون عن الحضارة الإسلامية في الهند لابد من إطلالة عامة على تاريخ الاسلام في الهند وكما يلي:

كان للعرب معرفة وثيقة مع بلاد الهند منذ عصور قديمة قبل الإسلام، بل حتى ان عددا من عوائل التجار والرحالة العرب استقروا فيها. وعند ظهور الاسلام بدأ التفكير من قبل الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويين بأهمية ضم تلك البلاد إلى حاضرة الاسلام فكانت البداية وكما هو معروف – عدة حملات استطلاعية لجس المنطقة وجمع المعلومات التي تفيد إمكانية الفتح. وقد استفاد الأمويون فيما بعد من تلك المعلومات في فتح أجزاء منها ونشر الإسلام فيها بحدود سنة ٩٥هـ/ ٧١٢م على يد القائد العربي (محمد بن القاسم الثقفي)[١٥].

ومنذ ذلك التاريخ وحتى منتصف القرن ٥هـ/ ١٢م ظل الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون يرسلون الأمراء والولاة إلى مناطق السند الإسلامية لإدارة الأمور فيها واستحصال الضرائب منها وتفقد أحوالها. وفي سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) استطاع القائد التركي المسلم (محمود الغزنوي) ان يؤسس له سلطنة إسلامية في بلاد الهند بعد ان انتصر على عدد من ملوك الهندوس الذين كانوا في الأجزاء الشمالية والجنوبية وهم من (الراجبوت) Rajiputs وفي سنة (٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م) تمكن قائد اخر هو (شهاب الدين الغوري) من إزاحة الغزنويين والتوغل في مناطق العمق الهندي ولاسيما الوصول إلى مدينة دهلي (دلهي) واستمر في فتوحاته لأكثر من ثماني عشرة سنة حتى اغتيل على يد احد الهندوس غدراً [١٦]. ثم استطاع احد مماليكه وهو (قطب الدين ايبك) من تأسيس اول إمارة إسلامية في بلاد الهند دامت لأكثر من ثلاثة قرون، بين عامي (٦٠٢- ٩٣٢هـ/ ١٢٠٦- ١٥٢٦م) تداول على حكم الهند خلالها خمسة اسر إسلامية وهي: أسرة المماليك (٦٠٢- ٦٨٦هـ/ ١٢٠٦ - ١٢٨٨م) وأسرة الخلجيين وأسسها جلال الدين الخلجي (٦٨٦-٧٢٠هـ/ ١٢٨٨-١٣٢٠م)،

وأسرة التغلقيين وأسسها غياث الدين تغلق (٧٢٠ -٨١٣ هـ/ ١٣٢١- ١٤١١ م) [١٧]، ثم أسرة السادة الخضر خانيون (٨١٣ – ٨٥٥هـ/ ١٤١١ – ١٤٥١م) وأخيراً أسرة اللاوديين وأسسها اسكندر اللودي (٨٥٥- ٩٣٢هـ/ ١٤٥١- ١٥٢٦ م)، وبعد ذلك تدخل الهند عهد السيطرة المغولية.

ويقتضي القول هنا بان ذلك التاريخ الذي استمر قرابة العشر قرون كان حافلاً بالأحداث السياسية والصراعات الداخلية والخارجية فضلاً عن الحياة الاقتصادية وما رافقها من تنوع وازدهار وتقدم [١٨].

الجوانب التي ركز عليها المستشرقون اثناء دراستهم لتاريخ الهند الإسلامية

تباينت واختلفت اتجاهات الكتاب الغربيون في الكتابة عن الهند ضمن الفترة الإسلامية ودرج ذلك التباين والاختلاف في مسألتين هامتين، إحداهما تتعلق بالأمانة العلمية والإنصاف في الكتابة دون تزوير للحقائق او انحياز وتهاون، وثانيهما ما يتعلق بالاختلاف في تناول جوانب الحضارة الإسلامية الهندية إذ ظهر لدينا ونتيجة لكثرة الكتابات الاستشراقية من هم مهتمين بدراسة جانب معين دون آخر من جوانب تلك الحضارة مع وجود اتجاه آخر درس وكتب عن الهند بشكل عام مع مراعاة الموضوعية في الكتابة. وسنبين في الفقرة أدناه نماذج من تلك الكتابات كما يلي:

١) **الجوانب السياسية**: شكلت الفترة الممتدة بين (٤٠٠ – ٩٣٢هـ/١٠٠٩ - ١٥٢٥م) سيادة الاسلام في مناطق متعددة من بلاد الهند، كما وأفرزت بين ثناياها كثيرا من الأحداث السياسية المهمة مما أتاح للمستشرقين مجالا خصبا لنقد وعرض وتحقيق الروايات والنصوص التي كانت اللغات العربية والفارسية والسنسكريتية أساساً لها، ومن المواضيع المهمة التي شدت انتباه المستشرقين عمليات الفتح لمناطق السند أيام الخلافة الاموية وما سبقها من حملات استكشافية فظهرت كتابات تناولت أوضاع ملوك الهند ومواقفهم تجاه المسلمين الأوائل. ومن تلك الكتابات : تحقيق وترجمة كتاب فتح السند او (فتح نامة) لعلي بن حامد الكوفي (ت بعد ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) على يد المستشرق (آن بلوش A.Blush)[١٩] وكتاب المستشرق الألماني (فيتسن Vetsen) (نبذة عن دخول الإسلام إلى الهند) وبحث المستشرق (هوتسما Hotsma) عن الحركة الإسلامية في الهند المنشور في مجلة (Der Islam)، فضلاً عن كتابات أخرى ركزت على شخوص وقادة الفتح ومنها **شخصية** محمود الغزنوي (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، ولعل ابرز المستشرقين الذين تناولوها: المستشرق (جون كلارك مارشمانJ.C.Marshman) (ت ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) من خلال كتابه History of India والمستشرق (إستانلي لين

بول S. Lane Pool (١٢٤٨-١٣١٣هـ /١٨٣٢-١٨٩٥م) من خلال كتابه (الهند تحت حكم الدولة الإسلامية)، والمستشرق (بارون كارا دوفو B .C.de Vaux) (١٢٨٤-١٣٧٣هـ /١٨٦٧ -١٩٥٣م) من خلال كتابه: مفكروا الإسلام، والمستشرق (كارل برو كلمان C. Brockelmann) (١٢٨٥-١٣٧٦هـ / ١٨٦٨-١٩٥٦م) من خلال كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية)، والمستشرق بارتولد شبولر B. Spuler (ت ١٣٢٩-١٩١١م) من خلال مقاله (Ghaznawids)، والمستشرق (بوزوارث C.E.Bosworth) (ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م) من خلال كتابه (latter Ghaznavids The) ومقاله (Mahmud B. Sabuktagin) المنشور في لندن، والمستشرق (توماس آرنولدT.Arnold) (١٢٨١-١٣٤٩هـ /١٨٦٤ -١٩٣٠م) من خلال كتابه (الدعوة إلى الإسلام) والمستشرق (هاردي P. Hardy) من خلال مقاله (Ayas Abu L Najam)[٢٠].

وفي عصر السلطنة الإسلامية ازدادت كتابات المستشرقين عن الأسر الحاكمة في العاصمة دلهي والأوضاع السياسية التي مكنتهم من السيطرة على الأجزاء الوسطى والجنوبية للهند ومثلما وجدت كتابات عربية وهندية عن تلك المرحلة المهمة فقد وجدت كتابات استشراقية اعتمدت على تلك المصادر ومنها كتابات المؤرخ الالماني (كولد مايستر Gold Maeister) حول (الهند في الكتابات العربية) وهوروفيتش Horowitsh عن (المصنفات الإسلامية في الهند) كما كان للمستشرق الانكليزي (هاملتون كب H. R. Gibb) دوراً كبيراً في إثراء الكتابات الاستشراقية عن الهند من خلال ترجمته لرحلة محمد بن عبد ا ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٩م) مع تركيزه على الجزء المتعلق بالهند والذي اكتمل على يد تلميذه (بيكنكهام Pegingham) عام ١٩٩٤ م. هذا وتطرق المؤرخ (كارنر براون G.Brown) إلى شخصية السلطان محمد بن تغلق (٧٢٥- ٧٥٣هـ/ ١٣٢٥-١٣٥٣م) احد أشهر السلاطين الهنود المسلمين ببحث خاص عنه[٢١]. ولا ينبغي لنا ان نغادر الجانب السياسي دون التطرق الى الفصل الذي كتبه المستشرق (بيتر هولت P.M.Holt) ضمن موسوعة كامبرج الشهيرة عن تاريخ الاسلام والذي وضح فيه طبيعة عصر السلطنة الإسلامية وملابساته بالاعتماد على ما توافر لديه من مخطوطات موجودة في المتحف البريطاني ومكتبة الدراسات الشرقية والتي تعود لذلك العصر.

٢) **الجانب الاقتصادي:** عنى المستشرقون عناية فائقة في دراسة النواحي الاقتصادية للهند ضمن الفترة الإسلامية لما يشكله هذا الجانب من أهمية وما تحقق بفضله من إرباح خيالية للهند والدول التي تتاجر معها. فمن المعلوم ان الرفاه الاقتصادي يتحصل من مجموع وارد الزراعة والتجارة والصناعة وأكثر تلك الجوانب أهمية هي التجارة

الخارجية فهي كانت تصدر المزروعات والمصنوعات الهندية إلى الخارج وأدى ذلك إلى تزايد الطلب عليها من قبل العرب والغرب لاسيما تجارة الافاوية والأخشاب والحيوانات... وقد قال احد المستشرقين في ذكر أهمية الهند والكتابة عنها بانها "**كأرض مرغوبة كانت عنصراً جوهرياً في التاريخ العام فمنذ أقدم العصور ظلت الشعوب اجمع تجعل الهند قبلة رغباتها راجية ان توفق في الوصول إلى كنوز الطبيعة التي تجمع بين اللؤلؤ والألماس والروائح العطرة، والأسود والفيلة... فضلا عن كنوز الحكمة والطريقة التي انتقلت بها تلك الكنوز إلى العرب – كانت لها في جميع العصور أهمية تاريخية مرتبطة بمصير الأمم**"[٢٢].

وممن كتب عن تلك التجارة المستشرق (شلمون جوايتين S.D. Goitein) الذي ركز على تجارة صنف الكارم والصلات التجارية بين المحيط الهندي والبحر المتوسط في بحثه: (من البحر المتوسط إلى الهند، وثائق التجارة الهندية وسواحل جنوب الجزيرة العربية بحث والساحل الأفريقي الشرقي في القرنين١١،١٢م)[٢٣] وبحثه الآخر: New Light of the Beginnings of Karmi Merchants، وكذلك كتابات المستشرق (الياهو آشتور Ashtor E.) في نفس الموضوع ومنها كتابه A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages فضلاً عن كتابات المستشرق (فيشل. W.G Fischel) ومنها: The Spice Trade In Mamluk Egypt. ولعل الملفت للنظر هنا مسألة اهتمام المستشرقين من اليهود بالجانب الاقتصادي في الهند، فقد جاءت دراساتهم مبنية على ما حصلوا عليه من (وثائق الجنيزة Giniza) المهمة التي كانت موجودة في المعابد اليهودية التي تعود إلى القرنين ٧-٨هـ/ ١٣-١٤م.

٣) **الجانب الاجتماعي**: وجد المستشرقون ما يشبع غرائزهم الأدبية في الكتابة عن النواحي الاجتماعية وذلك بسبب توافر المادة الخصبة نتيجة تعدد التقاليد الهندية من منطقة لأخرى. وقد أبدع عدد من أولئك المستشرقون في وصف المظاهر الاجتماعية للهنود والمسلمين، فمن المعلوم ان المسلمين ظلوا محتفظين بأغلب تقاليدهم ومناسكهم الدينية التي عرفوا بها في دول المشرق والمغرب الإسلامي لاسيما منها الاحتفالات الدينية كـ (عيد الفطر والأضحى والمولد النبوي ومناسبة عاشوراء...) فضلاً عن تقاليدهم الاجتماعية الأخرى كـ (مراسيم الزواج والأكلات واللباس...) ومن الذين كتبوا عن ذلك المؤرخ (موريلاند Moreland) ضمن كتابه (مختصر تاريخ الهند)[٢٤]. أما ما يتعلق بالتقسيم الاجتماعي للهند فقد انتقد المستشرقون ومنهم (توماس ارنولد T. Arnold) في كتابه (الهندوكية والإسلامية) النظام الطبقي للهندوس والذي يتكون من أربعة طبقات (البراهمية والكشتريا والبيشية والشودرا) إذ انه لا يحقق العدالة للأفراد

وفق رأيه مقارنةً بالنظام الاجتماعي للمسلمين والذي الغى نظام الطبقات واحـل محلـه رابطة الولاء للدولة واستقطاب الكفاءات الجيدة وذوي الخبرة وعلى هذا الأساس أشرك الهندوس وغيرهم من الأديان الأخرى في مختلـف الوظـائف الحكوميـة فـي الهنـد الإسلامية. على حين لم يقتصر اهتمام المستشرقين بذكر التقاليد الإسلامية في الهند بل ظهرت لدينا مؤلفات تتابع الأديان والمذاهب والمعتقدات الموجودة إلى جانب الإسـلام وموقفها من سيادته هناك وعلى سبيل المثال نجد رحلة الايطالي (طافور Tafur) فـي عالم القرن ١٥م الذي تتبع معتنقي الديانة النصرانية في الهند وتحدث عن كنيسة المـار توما او توماس الرسول الذي يعتقد انه بشر بالنصرانية في الهند، ثم كتاب المستـشرق (سيكال J. Sigal) بعنوان: The Jews In Cochen إذ تتبـع وجـود الجاليـات اليهودية في مناطق الهند الشرقية.

٤) **الجانب الثقافي**: اتسمت الفترة الإسلامية في الهند بنضوج الثقافة الإسـلامية وتنوعهـا وذلك لعاملين أساسيين، أولهما: ان الفكر الإسلامي كان قد بلغ مرحلة الرقي والتطـور في البلاد العربية التي هي مهد الثقافة الإسلامية أصلاً خصوصاً ونحن نتحـدث عـن القرون السادسة والسابعة والثامنة بعد هجرة الرسول محمد (ﷺ) وهي القرون التي نبغ فيها العديد من العلماء وكثرت فيها المصنفات في مختلف التخصصات. وثانيهمـا: ان المدن الهندية ولاسيما مدينة دلهي أصبحت حواضن للثقافة الإسلامية بعد النكسة التـي أصابت الحواضر العربية كبغداد ودمشق وغيرهما جراء الهجمات الصليبية والمغوليـة المعروفة. ومن هنا بادر العديد من العلماء العرب بالهجرة إلى ديار الهنـد لمواصـلة نشاطهم العلمي والأدبي، وبالتأكيد فان أولئك العلماء اصطحبوا معهم مـصنفاتهم فـي العلوم الإسلامية التي أخذت تنافس العلوم التي برع فيها الهنـود كالطـب والهندسـة والرياضيات وعلم الفلك...، وبذلك وجدت الثقافة الإسلامية في الهند مكانا خصبا لتلاقح الأفكار والكشف عن الإبداعات المكبوتة.

ان ما سبق أدى إلى فتح مجال آخر للمستشرقين للكتابة عن التاريخ الثقافي للمـسلمين في الهند فبدأ البعض منهم يكتب عن نشأة العلوم الدينية في الهند كعلوم القران الكريم والفقـه والتفسير والتصوف كما فعل المستشرق (رولنسن Rawlinsn) بكتابه (تاريخ الهند الثقـافي) عندما قارن تلك العلوم مع ما امتلكه الهنود من علوم عقلية، او ما تناوله الكاتـب الانكليـزي (لوو N. Loo) في كتابه عن التعليم في الهند في العصور الوسطى[٢٥]. كما قام المستـشرق (فيث j. Veth) بترجمة القران الكريم إلى اللغة الهندية[٢٦].

كما أتاح تعدد اللغات في الهند مجالا أمام الباحثين في الجانب الثقـافي إذ ان تنـوع المفردات السائدة في المجتمع الهندي ما بين (سنسكريتية وفارسية وعربية) فأضاف هذا التنوع

أضاف نكهة جديدة على الأدب الهندي، الذي ازدان بالمؤثرات الإسلامية والفارسية وأصبح محط اهتمام الباحثين ومنهم المستشرق (هوراس ويلسون Horas Wilson) الذي كتب عدة ترجمات عن الأدب الهندي وقد وصفه احد تلامذته بأنه: "**جريء في اقتحام الأبحاث التي لم يسبق طرقها من قبل، وان إنشاؤه جيد وعبقريته فاقت المعتاد بما فيها موهبته الشعرية وفوق كل شئ اجتهاده الذي لا يعرف الكلل**"[٢٧]. وممن كتب عن الأدب الهندي أيضاً (ارنولد ادوين A.Edwin): الشعر الهندي.

٥) **الجانب المعماري والفني**: ادخل المسلمون عناصر ومفاهيم جديدة تتعلق بفن وطرز العمارة وجماليات المكان إلى الهند، كما تغيير تخطيط عدد من المدن التي اتخذها المسلمون مراكز لحكمهم وأضافوا إليها مبان لم تكن موجودة من قبل، فأصبح المسجد الجامع مركزاً للمدينة (بدلاً من المعبد) ويبنى قربه دار الإمارة ثم الأسواق والمحلات... ثم ظهرت تأثيرات متبادلة بين الفن الإسلامي والفن الهندي. وعن ذلك كتب المستشرق ك. كوك بحثا بعنوان (تأثير الفن الإسلامي في آسيا)[٢٨] كما كتب المستشرق (فريكنبيرغ Frykenberg) كتاباً رائعاً تطرق فيه إلى عمارة مدينة دلهي عبر العصور[٢٩].

وإذا أردنا الاستمرار بذكر أسماء أولئك المستشرقون وأعمالهم فان القائمة تطول، فارتأينا الاكتفاء بذكر الأسماء اللامعة في هذا المجال وتركنا عدداً غير قليل منهم في قائمة ملحقة نهاية البحث.

٦) **جوانب أخرى**: فضلاً عما تقدم فلم يترك المستشرقون جانبا من جوانب الحضارة الإسلامية في الهند إلا وكتبوا عنه. ففي المجال الطبي قام (فرنسيس جلادوين Gladwin) بترجمة معجم المصطلحات الطبية لمؤلفه محمد بن عبد ا الشيرازي من اللغات الحية المتعددة إلى اللغة الانكليزية، كما ويظهر اثر المستشرقين واضحاً في عدة أعمال قاموا بها في الهند ومنها:

أ) **وضعهم لفهارس المخطوطات الشرقية** التي كانت موجودة أصلاً في مكتبات الهند ولعل ابرز من قام بذلك العمل (بلاكهارث Blackharth) الذي وضع فهرساً للمخطوطات الهندية والبنجابية والهندوستانية عام ١٨٨٩م[٣٠].

ب) كما ظهرت على أيديهم **المجلات العلمية المتخصصة** بالتراث والحضارية الهندية ومنها مجلة الثقافة الإسلامية (I.C) ومجلة صحيفة مركز الدراسات الاسيوية (R.C.J) ومجلة الجمعية الملكية لآسيا الوسطى (R.C.A.J) ومجلة الفن والأدب الهندي (I.A.L) وغيرها.

ج) تحقيق المخطوطات وترجمة المصادر الهندية ومنها ترجمة كتاب تاريخ فرشته لمؤلفه محمد قاسم هندوشاه (ت منتصف القرن ١١هـ/ ١٧م) على يد (بريجيز Bridges) وترجمة كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور لابن عرب شاه (ت ٨٥٤ هـ/١٤٥٠م) على يد المستشرق (ساوندرس Saunders) وترجمة كتاب طبقات ناصري لمؤلفه منهاج الدين على يد (رافيرتي Raverity) وتبنى النمساوي (ادوارد سخاو Sachau) مخطوطات البيروني (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) وترجم وحقق عدداً من مصنفاته ومنها (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة) و(الجماهر في معرفة الجواهر).

د) يبدو اثر المستشرقين واضحا في **دراسة أدب الرحلات إلى الهند** ونعرف ذلك الاهتمام الذي سخروه لترجماتهم لمختلف الرحالة الذين قصدوا الهند ومنهم الرحالة ابن بطوطة، وذلك الاهتمام بدأ منذ عام ١٩١١م على يد المستشرق (فون مزيك Von Mazic) الذي ترجم القسم الخاص بالهند والمالديف إلى اللغة الألمانية (هامبورغ –١٩١١). ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغات الأوربية الأخرى. ومنها الترجمة الى اللغة الانكليزية على يد **H. Gibb** حيث تمكن من ترجمة ونقد ثلاثة أجزاء وسرعان ما أدركته الوفاة، ثم عهد بإكمال العمل لأحد طلابه وهو (بيكنيكهام Beckingham) الذي اصدر الجزء الرابع عام ١٩٩٤المتعلق بالرحلة إلى الجنوب الهندي[٣١] وترجم (هنري يول Yule) الجزء المتعلق بالبنغال والصين[٣٢]. وترجمت منتخبات منها إلى اللغة الايطالية على يد الدكتور (كابريللي Cabrieli) (فلورنسة- ١٩٦١) وترجمت إلى اللغة البرتغالية من قبل الأب (جوزيف انطونيو Antonio) (لشبونة –١٧٩٧) وترجمت الى اللغة السويدية على يد (هيرمان الموكيتAlmquist) وترجمت إلى اللغة الجيكية على يد الدكتور (ايفان هيربيك) (ارشيف اورينتال –١٩٦٢). فضلاً عن الترجمات الاسبانية، والصينية واليابانية والروسية [٣٣]. كما قام (ماجور Major) بترجمة رحلة الروسي (نيكيتين Nikiten) إلى الهند[٣٤].

هـ) قاموا بعمل **موسوعات تتعلق بتاريخ الهند العام** وبضمنه التاريخ الإسلامي ومنها: موسوعة كامبرج بخمسة أجزاء بين عامي (١٩٢٢-١٩٣٧م) Cambridge History of India على يد هولت P.M.Holt ولامبتون A.Lambton وولسلي هايك Haig وموسوعة اوكسفورد لتاريخ الهند بثلاثة أجزاء Oxford History of India على يد مارشمان Marshman وثورون Thoron وبيفريج Beveredge. ويعد المؤرخ السير (هنري اليوت Sir H. M. Elliot) (١٢٢٣-١٢٧٠هـ / ١٨٠٨-١٨٥٣م) ناشر السفر الضخم والموسوعي لتاريخ الهند كما رواها المؤرخون بثمان مجلدات[٣٥] مع التركيز على التاريخ الإسلامي في الهند حيث قام بترجمة المصادر الهندية الأصلية لتلك الفترة

من عدة لغات بالتعاون مع المستشرق (داوسون John Dowson) الذي حررها، ويجدر بالذكر ان اغلب المؤرخين الذين جاؤوا بعده اعتمدوا على ذلك السفر ومنهم (لاني بـول وادوارد بايلي) كما ألف المستشرق (مور C.Moor) كتابا يضم مصادر الفلسفة الهنديـة Sourcebook of Indian Philosophy. هذا فضلاً عن كتاباتهم في دوائر المعـارف الإسلامية والبريطانية العديد من المفردات عن التاريخ الإسلامي في الهند.

و) **عقدهم الندوات والمـؤتمرات** المركزة على الحضارة الإسلامية في الهنـد ومنهـا مـؤتمر البيروني الذي انعقد بمشارك أكثر من سبعين باحثاً من مختلف البلدان عام ١٩٧٣م.

المبحث الثاني

جهود المستشرقة آنا ماري شيمل في التاريخ الاسلامي في الهند

تعد المستشرقة الألمانية الراحلة (آنـا مـاري شـيمل **Annemarie Schimmel**) (١٣٤١- ١٤٢٤هـ/ ١٩٢٢-٢٠٠٣م) واحدة من أهم الباحثات فـي مجـال الاستـشراق والبحث عن قضايا التاريخ الإسلامي في الهند كون النشاط العلمي للراحلة قد امتد في المشرق الإسلامي وشبه القارة الهندية طولاً وعرضاً، بينما يمكن للأبعاد الزمانية فـي هـذه الـسيرة الذاتية أن تجعلنا أمام حياة حافلة لهذه المستشرقة التي أتمت ثمانين سنة مـن عمرهـا ولعـل سيرتها الحافلة بالانجازات في هذا المجال وغيره خير دليل على ذلك.

ولدت شيمل في مدينة (ايرفورت Erfurt) وترعرعت في حقبة حرجة مـن تـاريخ ألمانيا الحديثة، فقد تزامنت نشأتها مع بداية قدوم الاشتراكية القومية (النازية) إلـى الحكـم و بدأت بتلقي دروس خاصة في العربية، وأقلعت في اتجاه عالم اللغات الـسامية. ثـم التحقـت بجامعة برلين، ودرست العلوم الإسـلامية بإشـراف عـالمين همـا (ريتـشارد هارتمـان Richard Hartmann، وهنريتش سكيدر Heinrich Schaeder) ودرسـت تـاريخ الفـن الإسلامي على يد (ارنست كونل Ernst Kuehnel)، والدراسات التركية على يد (فون كابابن Von Gabain) وحصلت على درجة الماجستير عن رسالتها: **الخليفة والقاضي في مصر فـي مصر الفاطمية والمملوكية** ثم درجة الدكتوراه في الاستشراق في سن التاسعة عشرة من عمرها عن أطروحتها: (**بنية الطبقة العسكرية في الحقبة المملوكية المتأخرة**)

أتقنت شيمل العربية والفارسية والتركية واللاتينية واليونانية وكانت إضافة إلى إتقانها للإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية تستطيع أن تقرأ أو أن تتحدث بالهولندية والسويدية والدنماركية والتشيكية[٣٦].

كما حصلت شيمل مرة أخرى على الدكتوراه في تاريخ الأديان من كليـة اللاهـوت بجامعة ماربورغ Marburge بإشراف الدكتور (فريدريك هايلر Friedrich Heiler) وكانت

بعنوان: (**دراسات عن مصطلح الحب الصوفي في التصوف الإسلامي المبكر**).

زارت شيمل عدداً كبيراً من البلدان العربية والإسلامية، منها الهند، اليمن وتركيا حيث عملت فيها أستاذة في العلوم الإسلامية واللغة العربية. وحلت في الولايات المتحدة وألقت في جامعاتها محاضرات وكانت بناظير بوتو رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة إحدى طالباتها في جامعة هارفارد الأميركية. أخبرت ذات مرة أحد أصدقائها أن بوسعها "**كتابة ثلاثين صفحة بالآلة الكاتبة يومياً، بل وأكثر من ذلك، إذا اقتضى الأمر**" [٣٧].

ولا شك أن موسوعيتها واحترامها للآخر هو سر من أسرار شهرتها التي طوفت الآفاق فصار اسمها معروفا في العالم الإسلامي. وقد أفرحها حقا إطلاق اسمها على أحد شوارع مدينة لاهور في باكستان أكثر مما أفرحتها الأوسمة الكثيرة التي نالتها من جميع أرجاء العالم.

اتجهت شيمل إلى عالم المخطوطات الشرقية في أنقرة واستانبول، وحصلت على لقب أستاذة خارج الهيئة، وفي عام ١٩٥٤ عينت شيمل أستاذة لتاريخ الأديان. ثم رجعت عام ١٩٥٩ إلى ماربوغ، وهناك عقدت المؤتمر العالمي لمؤرخي الأديان. وفي عام ١٩٦١ حصلت على وظيفة علمية في معهد اللغات الشرقية بجامعة بون. ولكنها لم تستطع الحصول على كرسي الأستاذية [٣٨].

إلا أن شيمّل أحبت العيش في الشرق، وأقامت فترة طويلة في الهند وباكستان، حيث اعتنت بتخصصها، وعملت بعدها ما يقرب من خمسة وعشرين عاما في جامعة هارفارد كأستاذة كرسي لمادة "**الإسلام في الهند**" **و**أستاذة للثقافة الهندية الإسلامية Indo- Muslim Culture. وفي تلك الآونة كتبت دراساتها عن الأبعاد الصوفية للإسلام، فضلا عن اهتمامها بشخصيات كبرى في عالم التصوف من أمثال: حافظ الشيرازي (ت ٧٩١ هـ/ ١٣٩١م)، وجلال الدين الرومي (ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م)، والحلاج (ت٣٠٩ هـ/ ٩٢٢ م)، ومحمد إقبال من العالم الإسلامي المعاصر. ولم تنقطع صلتها بالفن الإسلامي أيضاً، فقد ظلت طيلة عشر سنوات مستشارة لشؤون الخط الإسلامي في متحف نيويورك العالمي. كما نالت عددا من الألقاب والأوسمة والتكريمات حتى صح وصفها بعميدة الاستشراق الغربي والألماني في القرن العشرين.

إن آنا ماري شيمل لم تعتنق الإسلام، لأنها تعلم أن الدخول إلى دين الإسلام أمر ميسور، ولكن الخروج منه أمر مستحيل. ولكن شيمل عاشت حياتها مع المتصوفة وأفكارهم، على نحو يجعل المسلم يتساءل إذا ما كانت شيمل قد أصبحت واحدة منهم. وفي الحق أنها خلقت هذا الانطباع عند كثيرين، وغدا هذا الانطباع قابلا للتصديق.

وقد أوصت الأستاذة شيمل أن تتلى سورة الفاتحة على قبرها، وقد رتل السورة

الكريمة بالعربية يوم دفنها الشيخ أحمد زكي اليماني[٣٩].

مؤلفاتها العامة

قد لا تتسع صفحات عدة لذكر عناوين مؤلفات آنا ماري شيمّل وأبحاثها التـي بلغـت ثمانين مؤلفًا، بلغات مختلفة، ومعظمها حول التصوف الإسلامي، ناهيك عن ترجماتها الوفيرة. ففي المذهب الصوفي كتبت (الأبعاد الصوفية للإسلام) عام ١٩٧٤ باللغة الإنكليزية (ظهـرت ترجمته الألمانية عام ١٩٨٥) و(الوردة والعندليب) الذي يتناول الأشعار الـصوفية التركيـة والفرنسية، و(محمد رسول ا) الذي ظهر بالألمانية عام ١٩٨١، وكتاب(الشمس الظافرة) عام ١٩٧٨ عن جلال الدين الرومي و (النجم والزهرة) عام ١٩٨٤. وكتاب عن الفن الإسـلامي وفن الخط العربي. ولها كتاب عن الحلاج هو (الحياة والأسطورة)، كما كان لها كتاب ضخم عنوانه (حدائق المعرفة) عام ١٩٨٢[٤٠]. كما أصدرت بمشاركة الكاتب ألبرت تايله Albert Taeileh، مجلة (فكر وفن) الممتازة باللغتين العربية والألمانية منذ العام ١٩٦٢م وكان آخر مؤلفاتها بعنوان شرق وغرب: حياتي الغربية الشرقية[٤١]، وتحدثت فيه عن سـيرتها العلميـة والشخصية.

وفيما يتعلق بتاريخ الاسلام في الهند كتبت شيمل العديد من الأبحاث ونستعرض هنا أهمها:

١) **مقدمة في تاريخ الإسلام**[٤٢]: وهو كتاب يتناول سير الحضارة الإسلامية ومراحل انتشار الاسلام في مختلف البلدان ومنها الهند وبلدان جنوب شرقي آسيا.

٢) **الإسلام في شبه القارة الهندية**[٤٣]: أتاحت المدة التي قضتها شيمل في الهند كأستاذة لمادة تاريخ الإسلام في الهند ان تتعرف من قرب على واقع المسلمين الهنود، ويبدو من كثرة مؤلفاتها عن الهند انها كانت قد جمعت العديد من الأفكار والملاحظات والتفصيلات التي كانت هي أول من طرقها.

ومن هنا يأتي كتاب (الإسلام في شبه القارة الهندية) ليتناول المراحل التي مـر بهـا الإسلام خلال الحقب التاريخية الطويلة في الهند بدءاً من معرفة الهنود بالعرب قبل الإسـلام عن طريق الصلات التجارية ومروراً بظهور الإسلام وانتشاره في تلك القارة بالطرق السلمية في العهدين الراشدي والأموي ثم استقراره عبر إقامة حكومات إسلامية لها الـسيادة والإدارة التامة على اغلب مناطق شبه القارة الهندية.

٣) **الإسلام في الهند وباكستان**[٤٤]: كان كتابها السابق أعلاه موسوعياً وشاملاً دون التركيـز على بلد من بلدان الهند بالتعيين، ولكن بعد اقل من سنتين من تأليفـه سـلطت شـيمل الأضواء وعن قرب أيضاً على حال المسلمين في مناطق وسط الهند (المتمثل بمدينـة

دلهي وما جاورها) وكذلك مناطق المولتان (باكستان حالياً) خصوصاً وان البلدين مثلاً اكبر تجمع إسلامي عالمياً، فظهر كتابها (الإسلام في الهند وباكستان) دراسة تاريخية وحضارية عن بدايات عمليات الفتح وقادته[٤٥].

٤) **مركز الثقافة الإسلامية في السند**[٤٦]: بعد ذلك بفترة عمدت شيمل على التخصص أكثر في دراستها للتاريخ الإسلامي للهند فأصدرت بالاشتراك مع المؤرخ (ماكلي هيل Makli Hill) كتابها (مركز الثقافة الإسلامية في السند) ليتناول الجانب الثقافي لبلاد السند والتي مثلت البؤرة او الموطن الأساس للثقافة الإسلامية إذ انها مثلت أول إقليم دخله المسلمون واستقروا فيه لفترات طويلة ومنه انتقلت العلوم والآداب والمعارف الإسلامية إلى الأقاليم الأخرى. وقد تتبعت شيمل في هذا الكتاب المراكز الثقافية في السند من مدارس ومساجد وزوايا وربط.

٥) **مناهج التعليم في الهند**[٤٧]: اعطتنا شيمل في هذا البحث صورة واضحة عن أهم تلك المناهج في العصور الوسطى والتي كانت تدرس في مساجد ومدارس الهند الشهيرة والتي لا تختلف كثيرا عن تلك التي كانت تدرس في المشرق الإسلامي. ومثلت تلك المناهج مصنفات شيوخ وعلماء المشرق الذين هاجروا إلى الهند عقد الغزوات التي تعرضت لها مراكز الثقافة في العالم الإسلامي : ومن تلك المصنفات : الكشاف للزمخشري و مشارق الأنوار للشيخ الحسن اللاهوري[٤٨]. وبينت شيمل ان الهنود اهتموا كثيرا بعلم الفقه منذ الفترات الأولى لدخول الإسلام فيها فهو الوسيلة الوحيدة لمن كان يريد ان يتولّى منصب القضاء والأمور الإدارية[٤٩] فضلاً عن اهتمامهم **بعلم الحديث** النبوي الشريف إذ ان دراسته تطورت في عهد السلطان محمد تغلق ونتجت عنه دراسات وكتابات عديدة جديرة بالتقدير من قبل بعض العلماء الهنود الذين رفدوا هذا العلم عن طريق رعايته وتفسيره أيضاً نظرا لما يتمتع به من منزلة عليا في نظرهم لأنه يمثل أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله وبوصفه مكملاً ومفسراً لنصوص القرآن الكريم فضلاً عن ان النبي(ﷺ) يمثل الأنموذج الأعلى لهذا الدين في سلوكه وقوله وعمله ونواحيه.

٦) **باكستان: قصر ذو ألف باب**: صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٥م وتناولت فيه شيمل ماضي الباكستان وحاضرها وكيف كانت موطنا للبوذية والهندوسية ومن ثم دخول الإسلام إليها وما أحدثه المسلمين من تطور وعمران طرأ عليها.

شيمل والتصوف الهندي

عكفت شيمل على دراسة التصوف الذي لفت انتباهها عند البحث عن النواحي الثقافية فوجدت ان الصوفية كانت تحاكي الأفكار الهندية القديمة للبوذيين والهندوس (اليوغا) واناشيد (الفيدا)، **وتعتبر شيمل ان** الفضل الأكبر يعود إلى الصوفية في أسلمة بلاد عدة مثل الهند وأجزاء من أفريقيا. وتعتبر أنهم دعوا إلى المبادئ البسيطة للإسلام بنموذج الحب، من دون التطرق إلى مسائل معقدة ودينية وفقهية. وتقول "**تحتل أسماء ا الحسنى مكانة خاصة لدى المتصوفة. ولا تزال الخلوة الأربعينية القاسية الموصى بها منذ العصور المبكرة تمارس حتى اليوم. وفي القرن التاسع الميلادي نسمع للمرة الأولى عن حفلات موسيقية كانت تقود أحيانًا إلى رقص ووجدٍ وجذب دائري**"(٥٠). بيد أن المتصوفين الأكثر حصانة ورصانة نظروا إلى ذلك بريبة. فكتبت أبحاثاً عن التصوف الهندي ثم بدأت تدرس أعلام التصوف ومن مؤلفاتها تلك: **دراسة في الأفكار الدينية للسيد محمد إقبال**(٥١): وكان هذا الكتاب بالتعاون والاشتراك مع المؤرخ (كابريل وينك **Gabriel Wing).** وقد اهتمت شيمِّل بالشاعر والفيلسوف الهندي محمد إقبال، الأب الروحي لباكستان. منذ عام ١٩٥٧، وأثناء إقامتها في تركيا، حيث ظهرت ترجمتها الرائعة لأهم أعمال محمد إقبال. وفي عام ١٩٧٧ أصدرت لمناسبة مئوية محمد إقبال مجموعة منتقاة من أشعاره مترجمة إلى اللغة الألمانية تحت عنوان (**رسالة الشرق**) كما ونشرت كتابا عن **المتصوف الهندي أسد ا غالب**. وأجرت **دراسة في اثنين من كتاب التصوف الهندي في القرن ١٨م في الهند**(٥٢).

الخاتمة

١) ظهر من خلال البحث اهتمام المستشرقين في الكتابة عن الهند خصوصاً بعد دخولها في حظيرة الإسلام، ويبرز ذلك الاهتمام من خلال مؤلفاتهم العديدة في مختلف الجوانب السياسية والحضارية، ولعل أهم انجازاتهم تلك: تحقيقهم للمخطوطات القديمة عن تاريخ الهند الإسلامي ومن ثم ترجمتها ونشرها، وعرفنا تلك الأهمية من خلال تتبعنا للمؤرخين الهنود أنفسهم والذين يصعب عليهم الكتابة عن تاريخهم المحلي دون الرجوع إلى كتابات المستشرقين وما حققوه من نصوص.

٢) رغم ان الاستشراق الانكليزي كان أهم استشراق عرفته أوربا لاتخاذه الطابع العلمي ولتعدد وجهات النظر التي قدمها المستشرقون الانكليز للقضايا التي تتعلق بالإسلام(٥٣)، الا ان الاستشراق الألماني قارب نفس الطابع الانكليزي خصوصاً كما شاهدناه على يد انا ماري شيمل. كما لابد من الانصاف القول ان الحركة الاستشراقية في الهند قدمت خدمات جليلة أسدتها للفكر الإسلامي سيما في مجال لفت الانتباه إلى بعض ايجابيات هذا الفكر وذخائره ونشر نفائس التراث وفتح باب التشكيك والتأمل والتحليل.

٣) بعد انتشار الإسلام في الهند بدأت المؤلفات الاستشراقية بالازدياد أكثر من الفترات السابقة مما يعني ان هذا العنصر الجديد أضاف مادة غنية للكتابة والنقد.

٤) لا شك اننا نقدر الكتابات الاستشراقية عن تاريخ الهند الإسلامي والتي تتسم بنوع من الايجابية، وبنفس الوقت نستطيع الرد على الجوانب السلبية للاستشراق الهندي بالنقد العلمي وبأسلوب وقور وكلام رزين ولفظ موزون ومن ثم الاضطلاع بعمل ايجابي بنّاء يقتضي تأليف الكتب التحليلية والقيام بأبحاث عميقة حول المواضيع التي طعنوا فيها.

ملحق

ببليوغرافيا بأهم المصنفات الاستشراقية عن التاريخ الإسلامي في الهند

N	Authors	Titles	Published
1.	**Arbry , Arther**	**Sufism in India**	**London – 1945**
2.	**Basham, A. L**	**A Cultural History of India**	**New Delhi-1975**
3.	**Char, S. V. Desika**	**Hinduism and Islam in India**	**New Jersey- 1993**
4.	**Eaton, Richard Maxwell**	**The Rise of Islam and the Bengal Frontier, 1204-1760**	**California, 1993**
5.	**Elphinstone, Monstuart**	**The History of India. 2 vols..**	**London- 1841**
6.	**Eaton, Richard Maxwell**	**Sufis of Bijapur, 1300-1700: Social Roles of Sufis in Medieval India. Princeton,**	**Princeton University Press, 1978.**
7.	**Frazer, R. W**	**A Literary History of India**	**New York- 1970**
8.	**Dow, Alexander**..	***The History of Hindostan*.**	**3 vols. London, 1767-1772**
9.	**Hollister, John Norman**	**The Shia of India**	**New Delhi: 1979**
10.	**Minault, Gail**	**The Khilafat Movement: Religious Symbolism and Political Mobilization in India**	**New York: 1982**
11.	**Troll, Christian**	**Muslim Shrines in India: Their Character, History, and Significance.**	**New Delhi: 1989**
12.	**Michell, George**	**The Islamic Heritage of Bengal.**	**Paris , 1984**
13.	**Bely, Edward**	**History of Gujarat**	**London**
14.	**Hard, Bern**	**History of Afghans**	**London**
15.	**Right, Wiliam**	**The Delhi Sultanat**	**London**

N	Authors	Titles	Published
16.	**Ferguson**	**History of Indian & Eastern Architecture**	**London**
17.	**Roland**	**The Art & Architecture in India**	
18.	**Purkait, B. R**	**Indian Renaissance and Education**	**Calcutta-1992.**
19.	**Taussaint : A.**	**A History of Indian Ocean**	**(London – 1966)**
20.	**Charpenter , G**	**Theism in Medieval India**	
21.	**Camp, Treit**	**The Islamic role in India**	
22.	**Cvear, Perseval**	**History of India**	**1990**
23.	**Dunbar, Sir George**	**A History of India from the Earliest Times to the Present Day.. 2 vols.**	**London-1943**
24.	**Herman, k& Wothermond,D**	**History of India**	**1998**
25.	**Honter , W**	**The Indian Muslims**	**(London -1871)**
26.	**Michel , Georg**	**Islam in Decan**	**(Bombay– 1986)**
27.	**Kodrengton**	**Islamic Art in India**	
28.	**Liwes , Bernard**	**The Fatimid & Way of India**	
29.	**Poole. S.L**	**India under Muhammadian Rule**	
30.	**Maister. G**	**India in the Arabic Sources**	
31.	**Haig , Tomas**	**Architecture of Haidarabad**	
32.	**Rapson, E. J., Wolseley Haig, etc**	**The Cambridge History of India.**	**Cambridge-1922.**
33.	**Scott, Jonathan.**	**History of the Dekkan. 2 vols.**	**London- 1794**
34.	**Sen, Surendranath.**	**Studies in Indian History**	**New Delhi- 1993.**
35.	**Sen, Sukumar.**	**History of Bengali Literature.**	**New Delhi-, 1960**
36.	**Sweetman, Barry W. H**	**Mapping Hinduism**	**Cambridge University, 2000**
37.	**Thomas, Paul**	**Indian Women Through the Ages.**	**London: 1964**
38.	**Watson, F**	**A Concise History of India.**	**London:, 1974.**
39.	**Duff, James Grant**	**History of the Mahrattas. 3 vols.**	**London: , 1826**
40.	**Frazer, R. W**	**A Literary History of India**	**New York, 1970**

الهوامش

([1]) من الدراسات السابقة لهذا العمل بحث المستشرق موريلاند بعنوان: المصادر الهولندية عن التاريخ الهندي Dutch Sources for Indian History (London – 1950) نشر في مجلة التاريخ الهندي، ودراسة بيتر هاردي بعنوان: Historians of Medieval India (London – 1960).

([2]) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مكتبة دار الحياة (بيروت – لات) ص ٦٤٠٠.

([3]) محمد علي الصغير: المستشرقون والدراسات الإسلامية، (بيروت –١٩٨٦)، ص ١١.

([4]) دريد عبد القادر نوري: الوطن العربي والغزو الصليبي، (جامعة الموصل – ١٩٨١)، ص ٣٢.

([5]) عبد القهار العاني: الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان (عمان – ٢٠٠١)، ص ٢٩.

([6]) رحلات ماركوبولو، ترجم إلى عدة لغات عالمية كما ترجم إلى العربية عدة مرات. وقد ترجمت إلى الانكليزية على يد لاثان Lathan، والنسخة المتوفرة لدينا هي طبعة دار البصري، (بغداد – ١٩٧٩).

([7]) في الواقع كان هناك اكثر من رحالة زار الهند في تلك المدة ومنهم: اودوريك Odoric Friar و كورفينو Monte Corninu ولكن رحلاتهم لم تشتهر بالقياس الى حجم رحلة بولو.

([8]) دون نصوصها صديق دي كونتي ومواطنه طافور: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، ترجمة: حسن حبشي دار المعارف، (القاهرة – ١٩٦٨).

([9]) لها تسميات عديدة مثل راس الزوابع ورأس العواصف، وسميت براس الرجاء الصالح لانها فتحت الباب على مصراعيه امام البرتغاليين لطريق الهند.

([10]) ك. بانيكار: اسيا والسيطرة الغربية، ترجمة: عبد العزيز جاويد، دار المعارف، (القاهرة- ١٩٦٢)، ص ٥.

([11]) J. R. Serjeant: The Portuguese In Indian Ocean, (Oxford- 1965) P., 45

([12]) هي شركة أسسها المستعمرون الانكليز لخدمة أغراضهم الاستعمارية والتجارية للهند منذ ١٦٢٢م. ينظر: ارثر اربري: المستشرقون البريطانيون، (لندن – ١٩٤٣)، ص ١٢.

([13]) نجيب العقيقي : المستشرقون، دار المعارف (القاهرة – ١٩٦٠)، ج٢، ص ٤٣.

([14]) عبد الكريم غلاب: المغرب في الدراسات الاستشراقية، (مراكش – ١٩٩٣)، ص ١٩. ومن المؤرخين الألمان الذين اهتموا بالهند الإسلامية فليت Fleet ومولر M.Moller.

([15]) عن تلك الحملات ينظر: احمد بن جابر بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب، (القاهرة – ١٩٦٤)، ج٣، ص ٥٣٧.

([16]) ابو اطهر المباركبوري: العقد الثمين (الهند -١٩٧٢) ص ٤٣؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي (القاهرة –لات) ص ٣٦.

([17]) عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، (القاهرة – لات)، ج٤، ص١١٢؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي (الرباط – ١٩٩٧) ج٣، ص ٩٠.

([18]) وتنتهي فترة الاحتلال البريطاني للهند سنة ١٩٤٧م حيث تقسم الهند إلى عدة دول: الهند – باكستان – بنغلاديش – كشمير المتنازع عليها، ويسود الحكم في الهند الحالية للهندوس والبوذيين ويبقى المسلمون فيها أقلية اجتماعية في حين يشكل حكم المسلمين في الباكستان الأساس.

([19]) دار طلاس (دمشق - ١٩٩١).

([20]) محمد عامر مظاهري: السلطان محمود الغزنوي في كتابات بعض المستشرقين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (السعودية – ١٩٩٥م).

([21]) Jornal of History Province (London – 1918).

([22]) بانيكار: اسيا والسيطرة الغربية، ص ٢٠، عن هيجيل.

([23]) From the Mediterranean to India, Documents Indian Trade, South Arabia and East African Coast From 11,12 C , Speculum, Vol 39, (U.S.A-1954) p.,181.

([24]) A Short History of India (London- 1964).

([25]) Learning in India Through The Islamic Age (London – 1916).

([26]) العقيقي: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٢.

([27]) اربري: المرجع السابق، ص ١٦.

([28]) مجلة ثقافة الهند، مج ١٦،ع ٤، (دلهي – ١٩٦٥)

([29]) Delhi Through The Ages, Oxford university Press, (London-1986)

([30]) العقيقي: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٢.

([31]) للمزيد عن جهود هاملتن كيب ينظر: ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: المستشرق هاملتن كيب، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل – ٢٠٠٠)، ص ٨٠

([32]) H. Yule: Cathy & Way Thether (London – 1915).

([33]) عبد الهادي التازي: أبن بطوطة في الدراسات الاستشراقية، مجلـة الأكاديميـة المغربيـة (الربـاط – ١٩٩٧)، ص ٢٣.

([34]) India in the Fifteen Centuries

([35]) The History of India as Told by its own Historians, (London – 1886).

([36]) مارى شيمل أنموذج مشرق للاستشراق: بترجمة وتعليق ثابت عيد، الذي كان أحد طلابهـا، وتقـديم د. محمد عمارة. يتناول الكتاب جانباً من سيرتها الحافلة، ويعرض لنماذج من كتاباتها في الشأن الـصوفي الإسلامي. الانترنيت: موقع: www.maaber.50megs.com

([37]) شتيفان فيلد: سفيرة الشرق، ترجمة: خليل الشيخ. منشور على شبكة المعلومات الدولية / الانترنت موقع www.middle-east-online.com

([38]) فيلد: الموقع السابق .

([39]) فيلد: الموقع السابق نفسه.

([40]) أنا ماري شيمّل: انموذج مشرق للاستشراق. الموقع السابق.

([41]) دار بيك الألمانية للنشر (برلين -٢٠٠٢).

([42]) An Introduction in Islamic History (New York – 1992).

([43]) Islam in the Indian Subcontinent. Leiden: E.J.(Brill, 1980).

([44]) Islam in India and Pakistan. Leiden: E.J.(Brill, 1982).

([45]) ما يتعلق بالباكستان فقد فتحها محمد بن القاسم الثقفي في حملته المعروفة سنة ٩٥هـ / ٧٠٥م، اما عن فتح دلهي فقد تم سنة ٥٨٤هـ/ على يد شهاب الدين الغوري.

([46]) A Center of Islamic Culture in Sindh. University of Karachi, (Karachi- 1983).

([47]) مجلة فكر وفن، ع١٩ (برلين – ١٩٧٦)، ص ٢٥.

([48]) شيمل: المرجع نفسه، ص ٢٥.

([49]) شيمل: المرجع نفسه، ص ٢٦.

([50]) Schimmel, Annemarie. Mystical Dimensions of Islam.Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1975 , p., 88.

([51]) A Study into the Religious Ideas of Sir Muhammad Iqbal. 2nd ed: Iqbal Academy Pakistan,. (Lahore- 1989)

([52]) A Study of Two Mystical Writers of Eighteenth Century India. Leiden (Brill-1976).

([53]) العقيقي: المستشرقون، ص ٦٠٤ .